صلوته عن الخواطر واما التعظيم فهو حالة للقلب يتولد من معرفتين احدهما معرفة جلال الله وعظمته
وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس و
خستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله تعالى
فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا ينتظم حالة التعظيم و
الخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع
والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة
والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به
وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من
المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد
العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسياتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات ان شاء الله تعالى
واما الرجا فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في
وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجا لا محالة
واما الحياء فاستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك
بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع
افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب
وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء
فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج
ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا
انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين في كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب
ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت
الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى
اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك
من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق و
روي ان الله اوحى اليه قل لعصاة امتك لا تذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني
ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني
التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من
يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري
بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد الجامع اجتمع الناس
عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وقد كان وجيب
قلب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام يسمع ميلين وكان جماعة تصفر وجوههم

وترتعد



وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا
مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه
بمهمة ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار لاشتغال همه به عن
ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه
فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة
على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه
يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه
فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم بيان الدواء
النافع في حضور القلب اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا له وراجيا ومستحييا
من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها
في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة
ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر
ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته
باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه
ثم ينجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا
للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق
به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه
ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع
المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته
بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به
موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرف احدهم من على يمينه وشماله وكان ابن عمر لا يدع في
موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت
به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر
لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كان للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه في
الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه
ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه
قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله
عليه وسلم لعثمن بن شيبة اني نسيت ان اقول لك ان تخمر القدر الذي في البيت فانه لا
ينبغي ان يكون في البيت شغل يشغل الناس عن صلوتهم فهذا تسكين خواطرهم الافكار
فان كان لا يسكن هايج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء